## المبحث الخامس

## الأسباب الداعية إلى زوال وخفاء الأوقاف العلوية

إن الاعتداء على الأوقاف العامة والخاصة منهج شائع في كثير من الدول والأفراد عبر التاريخ الإسلامي، فالعدوان على أوقاف الحرمين الشريفين عبر العصور الإسلامية، أكبر شاهد، ومن المناقب الحسنة الرائعة للدولة السعودية محافظتها على الأوقاف العامة والخاصة منذ ظهورها -أعزها الله-، خاصة أوقاف الحرمين الشريفين بغض النظر عن ملاك تلك الأوقاف، وقد جعلت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد هي الجهة صاحبة الولاية عليها، إذا كانت عامة.

والمحاكم هي المتصرفة والحاكمة عليها إذا كانت خاصة.

**أهم الأسباب الداعية لزوال الأوقاف العلوية:**

الأسباب الداعية للاعتداء والمصادرة للأوقاف العلوية كثيرة، ومتعددة، ويمكن إجمالها في الآتي حسب الاستقراء للنصوص التي ذكرها العلماء، ومن أجل هؤلاء الإمام ابن شبه رحمه الله تعالى، وسأذكر هذه الأسباب مع الأمثلة الموضحة الكاشفة لها.

**السبب الأول:**

الصراع السياسي المعروف بين العلويين، والأمويين، وكان لهذا الصراع أثره الكبير في مصادره كثير من الأوقاف العلوية من قبل خلفاء بني أمية، والاستيلاء عليها بطرق شتى، قال الإمام ابن شبه، وعنه نقل السمهودي، قال:

"كانت البغيبغات مما عمل علي بن أبي طالب، وتصدق به، فلم تزل في صدقاته حتى أعطاها حسين بن علي لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب يأكل من ثمرها، ويستعين بها على دَيْنه ومؤونته، على أن لا يزوج ابنته من يزيد بن معاوية، فباع عبد الله تلك العيون من معاوية، ثم قبضت حين ملك بنو هاشم -أي العباسيون- الصوافي، فكلم فيها عبد الله بن حسن بن حسن أبا العباس السفاح- وهو خليفة، فردها في صدقة علي ﷺ، فأقامت في صدقته حتى قبضها أبو جعفر -المنصور- في خلافته، وكلم فيها الحسن بن زيد المهدي حين استخلف، وأخبره وخبرها، فكتب إلى زفر بن عاصم الهلالي، وهو والي المدينة، فردها في صدقات علي ﷺ"[1].

هذا نص واضح جلي يوضح طرق الاستيلاء على الأوقاف العلوية في العصر الأموي والعصر العباسي، بوسائل متنوعة كالشراء، أو المصادرة، وغير ذلك.

قال السمهودي وغيره:

"فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة برد فدك إلى ولد فاطمة، فكانت في أيديهم أيامه، فلما ولى يزيد بن عبد الملك قبضها، فلم تزل في أيدي بني أمية حتى ولى أبو العباس السفاح الخلافة، فدفعها إلى الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب، فكان هو القيم عليها يفرقها في ولد علي.

---

(١) أخبار المدينة (١/١٣٨).

- وانظر: وفاء الوفاء (٤/١٦٥)، (فقد ذكر ما ذكره ابن شبه مع سقط بسيط).

فلما ولى المنصور وخرج عليه بنو حسن قبضها عنهم، فلما ولى ابنه المهدي أعادها عليهم، ثم قبضها موسى الهادي ومن بعده إلى أيام المأمون، فجاء رسول بني علي فطالب بها، فأمر أن يسجل لهم بذلك -سجلاً-، فَكُتِبَ السجل، وقرئ على المأمون، فقام دعبل الخزاعي وأنشد:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا  برد مأمون (بني) هاشم فدكا"[1]

**السبب الثاني:**

الصراع العباسي بين خلفاء بني العباسي والعلويين مع بداية ظهور الدولة العباسية، وقد رأى الإمام ابن شبه تلك المصادرات، ورأى أيضاً ما فعله بعض خلفاء الدولة العباسية من إعادة الحق إلى نصابه.

قال ابن شبه: "قال أبو غسان: "وصدقات النبي ﷺ اليوم في يد الخليفة يولى عليها ويعزل عنها، ويقسم ثمرها، وغلتها في أهل الحاجة من أهل المدينة على قدر ما يرى من هي في يده من الوكلاء"[2].

وقد ذكر في تاريخ صدقات البغيبغة، وابن نيزر، ووفدك، أمثلة متعددة، وليراجع النص الذي ذكرته في السبب الأول عن الإمام ابن شبه، واكتفي هنا بالإشارة إليه وعدم إعادته مرة أخرى.

---

(١) المغانم المطابة ص (٣١٢-٣١٣).

- معجم البلدان (٤/٢٣٨-٢٤٠).

- وفاء الوفاء (٤/٤١٦-٤١٧).

(٢) أخبار المدينة (١/١٣٥).

**السبب الثالث:**

التنازع عليها من قبل النظار من آل علي بن أبي طالب ﷺ.

أن التصرف من قبل الملاك والنظار كان سبباً في إهمالها، وقد نصت بعض الوثائق أن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب أباح للحسن والحسين التصرف بأوقافه عند الحاجة، لهذا تصرف الحسن والحسين ومن جاء بعدهم ببعض هذه الأوقاف، فذكر البلاذري نصوصاً كثيرة[1]، ومنها:

"واختصم ولد الحسن والحسين في وصية علي -أي بأمواله- فقال كل قوم هي فينا، فكان زيد بن علي بن الحسن يخاصم لولد الحسين، وكان جعفر بن الحسن بن الحسن يخاصم لولد الحسَن"[2].

وذكر أيضاً في روايته عن المدائني عن ابن جُعْدَ به، ما ذكره بالنص السابق[3].

ثم قال: "عن المدائني عن جويرية بن أسماء، قال: تنازع ولد الحسن والحسين أموال علي، فكان القائم بأمر ولد الحسن زيد، والذي يقوم بأمر ولد الحسين جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي فكانا يختصمان"[4].

قال المدائني: "تنازع محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب في صدقة علي بن

---

(١) (٣/٤٢٧-٤٢٩).

(٢) أنساب الأشراف (٣/٣٥٨).

(٣) أنساب الأشراف (٣/٤٢٨).

(٤) أنساب الأشراف (٣/٤٢٩).

أبي طالب، فوكل محمد أخاه زيد بن علي بالحقوق، فكان محمد وعبد الله يتنازعان عند عامل المدينة إبراهيم بن هشام"[1].

**السبب الرابع:**

التصرف من قبل المستأجرين والمستثمرين لهذه الأوقاف، وهذا هو السبب الأول والرئيسي في التصرف في الأوقاف الخاصة في قديم الدهر وحديثه، إذ يستغل كثير من المستأجرين عبر السنين الطويلة تصرفهم في رقاب هذه الأوقاف إلى التقدم بطلب تملك تلك الأوقاف بأسباب كثيرة كالبيع والشراء أو الهبة أو الإحياء ونحو ذلك، وأكثر هذه الدعاوي غير صحيحة.

فقد ذكر الإمام ابن شبه نصوصاً كثيرة عند حديثه عن بعض الأوقاف العلوية في ينبع والعلا ووادي القرى ونحوها أنها كانت في أيدي بعض القبائل العربية التي تقطن تلك البلدان، أو أن بعض الموالي القائمين عليها تملكوها وأنه جرت بسبب ذلك مخاصمات في شتى العصور بين مَن كانت بعض الأوقاف في أيديهم ونظار الأوقاف العلوية[2].

**السبب الخامس:**

سألني بعض ذرية علي بن أبي طالب -عندما ألقيت بعض هذا الكتاب في محاضرة بنادي المدينة المنورة الأدبي في يوم الأحد ١٤٢٩/٢/٢٤هـ عن مصير الأوقاف العلوية، فقلت: الآن (الوقف موجودة في بطون الكتب)، أما

(١) أنساب الأشراف (٣/٤٢٧).

(٢) انظر: أخبار المدينة (١/١٣٨-١٣٩).

على ظهر الأرض فقد عفا عليها الدهر، والسبب الرئيس في ذلك هو هجرة آل علي بن أبي طالب ﷺ من الحجاز إلى مناطق أخرى كاليمن والعراق ومصر والمغرب الإسلامي، وهجرهم لمناطقهم بالحجاز فبعد هجرهم إلى تلك المناطق درست الأوقاف وأصحابها الإهمال وعفى عليها الزمن. فأصبحت كأن لم تكن.

وقد نصت على ذلك عند الحديث عن أماكن الأوقاف العلوية في منطقة المدينة المنورة.